شهريّات

بقلم رئيس التحرير

الآداب

في عامها الثاني والعشرين

صمدت « الآداب » ، خلال العام الماضي ، للمصاعب كلها التي تعرضت لها بسبب موقفها ، المتّحد بموقف « اتحاد الكتاب اللبنانيين » ، من قضية حرية الفكر العربي .

وانها لتدخل اليوم عامها الثاني والعشرين وهي أشد قوة وأعظم ثقة بنفسها وبقرائها مما كانت عليه طوال السنوات الماضية ، لان قراءها أصبحوا أشد ثقة بها وأعظم تقديرا لها ولدورها الكبير في حياتنا الادبية المعاصرة .

ولسنا بحاجة بعد الى التحدث عن المصاعب والعقبات التي تنهض في وجه « الآداب » ، فان احتجاب المجلات الادبية العربية الشهرية واحدة تلو الاخرى ، ولو كان بعضها يعود بشكل او بآخر ليحتجب من جديد ، يوضح بشكل قاطع ما تبذله « الآداب » من تضحيات للاستمرار في الصدور .

والحق ان احساسنا بالمسؤولية الكبيرة في اصدار هذه المجلة وبأهميتها في حياتنا الثقافية ، على ما قد يعتور مادتها المنشورة من ضعف أحيانا ، هو وحده الذي يجعلنا نتقبل التضحيات منذ بدأت المجلة تتعرض للمنع والمصادرة ، أي منذ حوالي عشرين عاما !

لقد أصبحت « الآداب » غذاء شهريا لا يستغني عنه زهاء ستة آلاف شار يصبحون على الاقل اثني عشر ألف قارىء ، هذا اذا كان العدد الواحد يقرأه اثنان فقط ، فكيف اذا كانوا خمسة كما أبلغنا بعض القراء في بعض بلدان الخليج العربي ، وكيف اذا كانوا عشرين على الاقل يتناوبون قراءتها شهريا في بعض المكتبات العامة التابعة للجامعات والمدارس ؟

ان هذا الرقم هو طبعا هزيل ، بل قد يكون هزليا في بلاد يزيد تعداد سكانها على المئة مليون ... ولكن لا شك في انه يمثل نخبة المثقفين والادباء العرب . وحين نقول « نخبة » لا يداخلنا شعور بالتعالي ولا بالانفصال عن هموم الجمهور القارىء ، ولكن رؤيتنا لهوية المجلة ولمفهومها هي التي تفرض ان يكون عدد قرائها محدودا ، وهذا هو شأن كل مجلة متخصصة ، في العالم العربي وحده ، بل في أنحاء العالم كلها . فلدي نعرفه ان مجلات فرنسية مشهورة كـ « التان مودرن » أو « نوفيل كريتيك » وسواهما لا تزيد كمية أعدادهما الشهريه عن عشرة آلاف نسخة ...

وقد وردنا من بعض الاصدقاء اقتراحات لتحقيق ما أسموه « تطوير الآداب » . ورحبنا بهذه الاقتراحات ، ولكننا تبينا بعد دراستها انها تتناول « الشكل » لا « الموضوع » . تتناول التخفيف من كثافة الحروف في الصفحة الواحدة ، وادخال الصورة والرسم وتعديل تركيب الصفحات وما الى ذلك ... ونحن نعتقد ان هذا ليس بالتطوير الجوهري للمجلة ، بل هو أقرب الى أن يكون بذخا أو ترفا لا تحتمله الادارة المالية التي تعاني ما تعانيه ، وهي لن تستطيع قطعا أن تنافس عدة مجلات شهرية اخرى تشرف عليها وزارات الاعلام في بعض الدول العربية وتخرجها اخراجا مترفا لا يحسب حسابا للخسارة ...

تبقى أهمية « الآداب » اذن في مادتها ، في تصورها للهمّ الادبي والشأن الثقافي ، في رؤية كوّنتها بتعاون التحرير والقراء معا ، تعتمد الالتزام بقضايا الشعب العربي على الاصعدة الثقافية والسياسية والاجتماعية في وقت واحد ، وتركز على تبادل التأثير بين الكاتب والقارىء ، بين الفن والمجتمع .

ولا ريب في ان ثبات « الآداب » على خطتها ، مع تطورها الدائب في تقديم المواهب الادبية والاقلام الفتية بحيث انها أصبحت منجما للاصوات المبدعة ومدرسة لتخريج الاجيال الادبية ، كل ذلك في ظننا شدّها الى قرائها الذين يتزايدون شهرا بعد شهر ، رغم منافسة مجلات أخرى تملك من الوسائل المادية أضعاف ما تملكه .

واذا كان من حق « الآداب » ان تطالب قراءها ، مرة اخرى ، بمساعدتها على تجاوز صعوباتها المادية ، بأن يقبلوا على الاشتراك فيها بتحويل قيمة الاشتراك

الى الادارة ، لا بشرائها من المكتبات التي تلتهم معظم ثمنها ، فمن واجبها على القراء أن تعاهدهم ، مرة اخرى، بأن تمضي قدما في خطتها المتزمة ودفاعها عن حرية الادباء ليتمكنوا من ابداع الادب الذي تحتاجه نهضتنا العربية الجديدة .

* * *

الرواية التي لم تكتب

حين أعلن مولد المقاومة الفلسطينية في مطلع عام ١٩٦٥ ، ولد في ذهني مشروع كتابة « الرواية الفلسطينية » . وكان أول عمل ينبغي أن أقوم به ، هو أن أدرس تاريخ فلسطين ، فعكفت على مراجعة المصادر وقراءة المراجع لتكوين الخلفية التاريخية لرواية كبيرة، ربما كانت ثلاثية او رباعية ، تتناول حياة ثلاثة أجيال عبر أسرة فلسطينية واحدة . وكنت على يقين من ان هذه « الرواية الفلسطينية » ستكون ، على نحو ما ، « الرواية العربية » لتداخل تاريخ فلسطين بتاريخ العرب الحديث ، بل ان التاريخ الفلسطيني ، منذ عام ١٩٤٨ خاصة ، أصبح التاريخ العربي بعناوينه الكبرى.

ولم تكن ولادة هذا المشروع في ذهني وارتباطه بميلاد المقاومة الفلسطينية أمرا اعتباطيا أو مجانيا . بل كان ذلك حصيلة وعي عميق بأن زمن الهزائم التي عاشها العرب بصورة عامة ، والفلسطينيون بصورة خاصة ، أوشك على الانتهاء . كانت الامة العربية في تلك الفترة بالذات تحتشد للمعركة المصيرية التي كانت المقاومة الفلسطينية تشكل طلائعها . وكان ثمة شعور عميق ، وان كان حدسيا ، لدى الناس جميعا عندنا ، بأن هذه المعركة ستنفجر بين يوم وآخر ، خاصة وان استفزازات الاسرائيليين كانت تتضاعف باستمرار . وفي تلك الفترة ، وضعت العنوان الكبير للرواية ، مستوحى من تاريخ الماضي ممزوجا باستشراف المستقبل القريب . وكان العنوان « زمن الهزيمة والنصر » .

وقضيت اكثر من عام في مراجعة المصادر والتقميش ، حتى بدأت « رؤية » الرواية تتكون رويدا رويدا في مخيلتي . ثم أحسست بحاجة ماسة الى أن أعايش بعض رجال المقاومة عن كثب ، وأن أقضي بينهم، ولو فترة قصيرة ، تمكنني من أن أقتبس منهم بعض الملامح الواقعية لنماذجي الروائية . وبقيت بضعة أيام في « الاغوار » لم تكن كافية بالطبع لمنحي الذخيرة الضرورية ، ولكنها نجحت في ازالة التهيب الذي كنت أعانيه كلما هممت ببدء الكتابة . وفي أوائل عام ١٩٦٧ ، شرعت في تأليف الرواية . وقد نشرت بالفعل الفصل الاول منها في العدد الثاني من العام نفسه (شباط ١٩٦٧) في مجلة « الآداب » . وفي الاشهر التالية كانت حماستي للرواية تتضاعف مع تفاقم الاحداث والاقتراب من حزيران . وفي أيار من ذلك العام ، تجسّد أمامي المعنى الحقيقي المحسوس للقسم الثاني من العنوان ، وهو « النصر » ، بعد زمن الهزيمة .

لست بحاجة ، بعد ، الى الاطالة . كان حزيران في تخطيطي الاولي ، يعني انتهاء زمن الهزيمة . ولكنه حين وقع ، كرّس ذلك الزمن . وكان طبيعيا ، في تلك الظروف ، أن يتوقف المشروع . هذا بالطبع موقف ضعيف مني ، لانه يتناقض مع ما كنت ، ولا أزال ، اؤمن به حقا : من ان الامة العربية لا يمكن ان تنهزم الى الابد . ولكنه ضعف بشري ، لا بد من حدث مضاد في مثل خطورة ٥ حزيران لكي يقضي عليه . وقد جاء هذا الحدث في ٦ تشرين الماضي .

طوال السنوات الست الماضية ، كنت أعاني الضيق والمرارة كلما قلّبت أوراق مشروع « زمن الهزيمة والنصر » . أما الآن ، وقد أعاد لي الانسان العربي الثقة به ، وبنفسي ، تنفض الاوراق من جديد بالروح والحياة .

قد تضطرب هذه الاوراق الآن ، وقد تتعثر بين أصابعي ، بل قد تعود الى الادراج أياما وشهورا ، بعد أن توقف اطلاق النار ... ولكن لا مفرّ من ان يكتمل هيكل المشروع ، وأن يكتسي لحما ، ولا بد من ان تمتلىء الاوراق بحركات أبطال الرواية ، بآمالهم وآلامهم ، باخفاقاتهم وانتصاراتهم ، مهما خذلتهم المؤتمرات أو المؤامرات ... ذلك ان الانسان العربي الذي ظننا ضربة حزيران قد قضت عليه ، فأشاعت فينا اليأس ، وشلّت أقلامنا ، انما كان جريحا فحسب . وقد برىء الآن من كثير من جراحه ، وسيداوي الجراح الباقيات ...

انه يخلّف زمن الهزيمة ، ويستقبل ، بصدر واسع ، زمن النصر .

سهيل ادريس

ملفّ خاص بـ « طه حسين »

غ ب وجه طه حسين في حرب تشرين ، فلم تتمكن « الآداب » التي احتجبت في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي ، من تحية هذا الكاتب العربي الكبير الذي يملأ انتاجه تاريخنا الادبي الحديث ، كما ان ضيق الوقت لم يساعدها على نشر دراسات عنه في هذا العدد . وستحاول « الآداب » ان تخص فقيد الادب العربي بملفّ كامل في عددها القادم ، وتدعو الادباء العرب الى المشاركة في تحرير هذا الملفّ .

« التحرير »